جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

دور المؤسسات الاصلاحية في الحيلولة دون عودة الاحداث للإجرام

الدكتور ادريس الكناني

الرياض

1414 هـ - 1993 م

دور المؤسسات الإصلاحية في الحيلولة دون عودة الأحداث للإجرام

الدكتور إدريس الكتاني (*)

إن الهدف العلمي المخطط للمؤسسة الإصلاحية الخاصة بعلاج الأحداث المنحرفين، ينحصر أساساً في منع عودتهم إلى الانحراف والإجرام، أي أنه يعيد تربيتهم وتكوينهم النفسي ـ الإجتماعي، ليندمجوا في المجتمع من جديد، ويصبحوا أطفالاً عاديين.

فإذا كانت التربية هي مجموعة الدروس الأولى التي يتلقاها الطفل منذ نعومة أظفاره حتى سن الرشد، أو هي حسب تعريف أوبيرت (hubert): مجموعة الأفعال والآثار التي يحدثها بإرادته كائن إنساني في كائن إنساني آخر، وتتجه نحو غاية أساسها تكوين استعدادات متنوعة لمواجهة الحاجات التي يمارسها عندما يبلغ مرحلة الرشد، فإن إعادة التربية تعني إصلاح الأخطاء التي تلقاها الطفل في تربيته الأولى، فحرمته من الانسجام والائتلاف الناتج عن التوازن الذي يقوم بين النشاطات الخاصة بالفرد، وبين التغيرات الراجعة لاستجابة الفرد لنظام الوسط الخارجي، ومن هنا تتضح صعوبة هذا الاصلاح بعد الإعوجاج، أو هذه التربية الثانية، إذ هي عملية

(*) استاذ علم الاجتماع بجامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية.

معقدة وطويلة وشاقة، تتطلب وقتاً قد يطول وقد يقصر وخبرة معمقة في العلوم الإجتماعية، والخدمة الإجتماعية.

وبعبارة أخرى فإن الطفل المنحرف هو الذي واجه خللاً أو نقصاً في تنشئته الإجتماعية، أي خلال العملية التربوية التي يتم بواسطتها تلقينه، طيلة مراحل نموه، مجموع الأنماط المختلفة للسلوك والتفكير والشعور، التي ترتضيها البيئة والحضارة التي يعيش فيها. وتأتي إعادة التربية لترميم ذلك الخلل وعلاجه شيئاً فشيئاً بأساليب علمية وتقنية مختلفة، تعتمد في اختياراتها على الذكاء والاجتهاد والتجربة المحلية، دون أن تصل مع ذلك ـ إلى مرحلة الكمال، ودون أن تتوصل إلى وضع قواعد عمل متفق عليها عالمياً، من طرف المربين المختصين، وإذا كنا نعتقد بأنه من الأهمية بمكان الاطلاع على مختلف الأساليب والتجارب التي قام بها المربون المختصون في مؤسساتهم الإصلاحية بمختلف الدول الغربية، فإن هذا لا يعفي المربين المختصين العرب والمسلمين من أن يقوموا بتجاربهم الخاصة، ويبدعوا الأساليب المستمدة من قيم حضارتنا ومبادئنا، والنابعة من ثقافتنا العربية الإسلامية، ذلك أن أسباب وعوامل الانحراف والإجرام ليست واحدة في كل مكان، وكذلك العلاج لن يكون وصفة متشابهة صالحة لكل مكان وزمان، ولذلك أعتقد أن اسلوباً معيناً تمت تجربته بنجاح نسبي في مجتمع عربي، تتميز منطقته الجغرافية بخصائص مناخية وطبيعية، وتاريخية وسياسية قد لا يصلح مائة في المائة لمجتمع عربي آخر، تختلف خصائص منطقته الجغرافية عن المجتمع الأول، فنحن

نعترف بوحدة الثقافة العربية الإسلامية عالمياً كما يعترف بها الاجتماعيون الغربيون، ولكن عادات وتقاليد البيئة المحلية كثيراً ما تؤثر على أنماط السلوك، وطرق التفكير وردود الفعل، وأساليب إعادة التربية يستلهمها المربون من هذه الحقائق النفسية، الاجتماعية للثقافة المحلية، عن طريق استعمالهم ـ طبعاً ـ للقواعد والتقنيات الحديثة للعلوم الاجتماعية.

وسنقوم فيما يلي بعرض مختصر لأساليب إعادة التربية في أهم الدول الغربية وفي بعض الدول العربية، نختمه بتحليل مقارن لمختلف هذه الأساليب مع محاولة لتجميع العناصر التربوية الجوهرية التي ألحّت عليها أغلب المؤسسات.

تطور أساليب إعادة التربية في الغرب

تجربة إعادة التربية في الولايات المتحدة:

لن نتحدث في هذا العرض، والعروض التالية، عن نشأة وتطور حركة انشاء مؤسسات رعاية الأحداث، ومحاكم الأحداث والقوانين الخاصة بالأحداث، هذا لا يدخل في موضوعنا، إن ما يهمنا هو الأسس والعناصر الفكرية والمادية التي يقوم عليها الفكر الاصلاحي الهادف لعلاج الأحداث المنحرفين وإعادة تربيتهم بواسطة المؤسسة الإصلاحية.

كان الأسلوب المتبع في أول مدرسة إصلاحية لاعادة تربية الأحداث المنحرفين في (ماساشوستس) عام ١٧٣٨م يقوم فقط على

ملء أوقات فراغهم بمختلف الأشغال والأعمال التطبيقية عقاباً لهم على الجرائم التي ارتكبوها، ثم تطورت شيئاً فشيئاً أساليب إعادة التربية جنباً إلى جنب مع الأنظمة الفنية الحديثة لرعاية الأحداث الجانحين، فقاضي الأحداث كثيراً ما يكون سيدة، تمتاز بروحها العطوفة وشهرتها الطيبة في الحي، ولها خبرة ومعرفة بالمجتمع الذي تعمل فيه، وبمشاكل أحداثه وعوامل إجرامهم.

وقد انشيء نظام للمراقبة الاجتماعية داخل محكمة الأحداث يشرف عليه ضابط مراقبة، وهو عادة اختصاصي اجتماعي مهني، ويقوم باتاحة الفرصة أمام الحدث لابقائه حراً طليقاً تحت إشراف مكتب المراقبة ليعدل سلوكه المنحرف، فإذا كانت جريمة الحدث من الجرائم الكبيرة ويصعب تربيته، يقوم ضابط المراقبة بإصدار قرار لايداع الحدث في احدى دور الحجز الاحتياطي أو إحدى الأسر البديلة، وذلك إذا ثبت له عدم صلاحية أسرته للبقاء فيها حتى يوم المحاكمة.

ويقوم مكتب المراقبة بتتبع حالات الأحداث والعمل على توحيدهم مهنياً أو دراسياً وشغل أوقات فراغهم، ويتبع الاختصاصي الاجتماعي في معاملته للأحداث أسلوب «خدمة الفرد» مع التركيز على فهم سلوك الحدث الحاقد على المجتمع، وتقبل هذا الحقد ورسم خطة لمواجهة هذا الموقف تقوم على ترشيد وتوجيه شعور الحدث.

وقد نشرت الرابطة الأمريكية لرعاية الأطفال أخيراً دراسة وصفية لمؤسسات الأحداث بعنوان: «علاج الأطفال المضطربين

عاطفياً في مؤسسات الإقامة» ويتضمن هذا العلاج الجانب النفسي الفردي للطفل، وتجربة حياة مصممة تصميماً علاجياً وتعليماً علاجياً، ويعتبر النشاط الترفيهي مكافأة على السلوك الحسن، بدلاً من غيره، كما أن لب العلاج في المؤسسة يكمن في موقف حياة الجماعة، كأسلوب من أساليب إعادة التربية، وقد شرح (فريتزريدل) في دورة عامة لمؤسسات إصلاح الأحداث عقدت في شيكاغو في ٧ مارس ١٩٤٩م مشكلة هذا الأسلوب قائلاً: «لنكن على حذر من الاغراق في الوهم» فقد مررت خلال السنوات الثلاث الأخيرة باصلاحيات تضم ٣٠٠٠ طفل، وكان القائمون عليها يسألونني دائماً عن كيفية استخدام العلاج الجماعي.

إن لدينا الآن مادة وهمية اسمها «العلاج الجماعي» إذ لابد أولاً من ايجاد حياة جماعية سعيدة ذات تخطيط سليم ومعقول.

إن الطريقة التي يتعامل بها بعض أفراد الجماعة مع البعض الآخر، ونوع قواعد السلوك المتبعة، تمثل جزءاً جوهرياً من الغذاء الكلي الذي تقدمه المؤسسة للصغير، ومن الواضح أن «فريتز ريدل» يشير بهذا إلى ما هو معروف في قواعد التربية الاسلامية باسم «القدوة الحسنة».

ويلعب مدير المؤسسة الاصلاحية دوراً مهماً في العلاج، فهو الذي يهيء الجو السائد فيها، وطريقته في معاملة الهيئة التي تعمل معه، والأحداث الذين هم في رعايته والجماعة التي تحيط بهم، هي التي تجعل العلاج ممكناً أو مستحيلاً.

وكان هدف جميع مراكز إعادة التربية وكل مؤسسات الأحداث، هو الحراسة التامة، وتحولت فكرة الحراسة الخالصة إلى فكرة العلاج، بدأ المشرفون على المؤسسات بتقليد النظام العائلي، واستخدام علاقات الجماعة داخل «مؤسسة الأحداث».

وقد جاء في مقدمة التقرير الذي أعده مؤتمر البيت الأبيض في منتصف هذا القرن، عن التطور السليم لشخصية الأطفال والشباب:

«. . . إن الغرض من كل تربية أو أسلوب علاج في مجتمعنا، يتصل بطريقتنا الديمقراطية في الحياة، أي أن يكون هناك قوم يستطيعون أن يشاركوا مشاركة بناءة في بناء علاقات انسانية أفضل، وكل من يدخل مؤسسة ما يصادف بعض الصعوبات، وهدفنا هو القضاء على هذه الصعوبات، وان كان تحقيق ذلك مازال بعيداً، وفي مؤسساتنا مشاكل تتدرج من الطفل الذي مر بالتجربة الأليمة، لانفصام العلاقات العائلية بسبب الموت أو المرض، أو غير ذلك من المصاعب، إلى الشخص الذي أصيب بانهيار عقلي، أو الذي انتهك قوانين المجتمع وأصبح مجرماً.

فالمشاكل اذن مختلفة اختلافاً بيناً، ولا بد من معالجتها بطرق متباينة، ومع ذلك فالهدف دائماً واحد، وعلينا ونحن في سبيل تحقيق هذا الهدف، أن نتبع وسائل عدة للعلاج، منها الدواء المادي، والعلاج النفسي الفردي، وخدمة الفرد وغيرها من الوسائل الكثيرة التي يمكن استخدامها في موقف «الحياة اليومية».

تجربة إعادة التربية في الاتحاد السوفياتي:

قبل الثورة الشيوعية، كان موقع «إصلاحية مكسيم غوركي» على بعد ٦ كيلومترات من مدينة «بولتافا» معتقلاً للجانحين القاصرين، وكان النظار الذين اختيروا من ضباط الصف المتقاعدين، يشغلون المناصب التربوية فيه، وكان عملهم يقوم على أن لا يتركوا الأحداث يغربون عن أنظارهم في ساعات العمل أو الراحة، ولم تكن طريقة تكوينهم لهؤلاء الأحداث تتميز بتعقيد شديد، فالعصا البسيطة كانت رمزاً لهذه الطريقة.

وفي ١٩٢٠م قال مدير مصلحة التعليم العام في مدينة خاركوف لمدير القسم البيداغوجي، بعد أن درس معه مشكلة الأحداث الجانحين الذين يتزايد عددهم سنة بعد أخرى.

. . ليست القضية قضية أبنية يا صاحبي، إن ما يهمني هو تربية الانسان الجديد بواسطة أساليب جديدة. . . أفهمت؟ إننا نريد رجالاً. . . رجالاً سوفياتيين علينا أن نصنعهم، وهكذا قامت اصلاحية «مكسيم غوركي» على مساحة ٦٠ هكتاراً وسط غابة من أشجار الصنوبر.

كان برنامج العمل في الاصلاحية يقوم على تعليم الأحداث صباحاً، وممارسة الأشغال التطبيقية في النصف الثاني من النهار، وفي المساء يجتمع المربون والأحداث لمطالعات مشتركة يقرأها المدير نفسه بصوت مرتفع أو أحد الأحداث، ومن المهام التي يقوم بها الأولاد، حراسة الغابة والأبنية وخدمة الاصطبل وزرع عدة هكتارات بالبطاطا

والشمندر، وقد قسمهم المدير إلى مجموعات سماها كتائب، كل كتيبة من ١٠ أحداث تتفاوت فئات أعمارهم بين ١٣ و١٨ سنة، ويرأسهم أكبرهم سناً ويسمى «قائد الكتيبة»، وتوزع الكتائب حسب المعامل:

فهناك معامل للحدادة والنجارة وتطريف الأحذية والطاحونة، وخدمة الخيول وتربية الخنازير، وقد بلغ عدد الكتائب ٣٠ كتيبة تضم كل منها ٢٢ ولداً فأكثر، والمناوبة في ممارسة الأعمال بينها اسلوب وطريقة عمل تجعل كل الأولاد يمرون من نفس الطريق.

ومن أفكار مدير المؤسسة، إن إعادة تربية الأحداث الجانحين تقتضي عدم اعتبارهم مجرمين، وان ماضيهم الاجرامي يجب أن يصبح شيئاً منسياً، ويجب السير بهم قدماً إلى الأمام.

وكان يلاحظ بهدوء تصرفاتهم، ويسأل عن سلوكهم أثناء الدرس، وأثناء العمل التطبيقي، ويطلب من المربين أن لا يعاندوا ذوي المزاج الحاد، أو الأمراض العقلية منهم. وعلمهم النظافة والعمل بجد وحزم وبدون انقطاع، كما عودهم على الادخار وحسن التصرف، وكيف يحلون مشاكلهم اليومية بأنفسهم، كما عودهم على المعيشة في أحضان الطبيعة والتغلب على الصعاب والسمو بالعواطف، وبث روح التعاون والمسئولية وخلق الاحساس الاجتماعي الواعي العميق واكتساب الخبرات الجديدة، وأداء الخدمات العامة المنظمة، وأن الكل سواسية أمام القانون، وهدفه عدم رجوعهم إلى الجريمة، وإعادة اندماجهم في الوسط الطبيعي

بتقويم سلوكهم، وتقوية شخصيتهم.[1]

نادي الأحداث المشاكسين:

يعتبر نادي الأحداث المشاكسين في ضواحي مدينة لينينغراد، نوعاً آخر من مراكز إعادة التربية، ويهتم بتدريب الأحداث على رياضة الدراجات النارية، والمصارعة وغيرهما، وبالقرب من غرفة «ستوديو السينما» يمكنك سماع أصوات الموسيقى لفيلم يجري إخراجه بينما كان المصممون يختبرون جهازاً للإنارة الصوتية، وفي جانب النادي كان حارس النادي يسجل أسماء الراغبين في دخول «الديسكو» الذي سيتم افتتاحه بعد ساعة واحدة.[2]

وقد أدرك المهندس «فاليري فلينسكي» عندما بدأت عملية تأسيس نوادي الفتيان في لينينغراد ببداية الستينات ١٩٦٠م، بأن رسالته هي العمل مع أولئك الذين يسميهم المربون «صعيبي المراس» وهو يلجأ إلى مؤلفات التربويين والأطباء وعلماء النفس والاجتماع السوفيات والأجانب، ليبحث فيها عن أجوبة للأسئلة التي تطرحها الحياة، ومهمة النادي حالياً كما قال؛ هي إعانة كل صبي في العثور على صديق بالغ جيد، وزاد قائلاً: إنني على ثقة بأن المثال الطيب هو المنتصر.

---

١ ـ معلومات مقتبسة من قصة الأديب الروسي أنطون ماكارنكو في ٣ مجلدات من حجم كتب الجيب بعنوان «قصيدة تربوية» من دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية في موسكو. بدون تاريخ.

٢ ـ من مقال في صحيفة «أنباء موسكو» عدد ٤٠ أكتوبر ١٩٨٢م بعنوان: الحديث عن الأحداث المنحرفين في لينينغراد.

إن نوادي الأحداث المشاكسين في لينينغراد هي أسلوب آخر من أساليب إعادة التربية، تشغل وقت فراغ الأحداث بمختلف الألعاب الرياضية والفنية، مما يجعلهم لا يفكرون في ارتكاب أي جريمة، ويجعل التعامل معهم سهلاً.

وبالجملة فإن التربية السوفياتية ترى في العمل الأسلوب الوحيد والحل الناجح لاصلاح الحدث، والتربية بالعمل أهم وأحسن طريقة للاصلاح، والتخلي كلياً عن الماضي وعدم ذكره بالنسبة للحدث نصف العلاج.[1]

تجربة إعادة التربية في انجلترا:

في ضواحي مدينة «ليدز» الصناعية الكبيرة بشمال انجلترا، قامت مؤسسة «نورث ثورب» لاصلاح الأحداث المنحرفين بفضل عمل دؤوب وتطوعي لثلاثة طلاب سنة ١٩٦٢م، أصبح أحدهم مديراً لها، بعد أن تخرج من الجامعة وتخصص في علم الاجتماع، وقد نجحت المؤسسة في تأهيل وتحسين سلوك نزلائها، ومتابعة بعضهم لتعليمهم الثانوي أو الجامعي، وكان يعتقد أنهم سيرتكبون جرائم أخرى، تؤدي بهم إلى المحاكم من جديد، وأعلن أحد المسئولين بمحكمة «ليدز» أن ذهاب المنحرفين إلى مركز «نورث ثورب» أجدى بكثير من الذهاب إلى مدارس الاصلاح الحكومية، فما هي الأساليب التي تستعمل لتحقيق هذه النتائج الباهرة؟

---

١ ـ مجلة، الاتحاد السوفياتي، عدد ٦٨ أكتوبر ١٩٧٠م.

يقول كاتب المقال[1]: ليست هناك أساليب معينة خاصة، هناك ادارة المركز على أساس عائلي ودي، وليست هناك قوانين مشددة إلا فيما يتعلق بأوقات تناول الطعام وأوقات النوم، إلا أن هذا لا يعني أن المسئولين عن المركز يسمحون لأي نوع من التصرف قد يسيء إلى الآخرين ويزعج راحتهم، وان كانوا هم أنفسهم يتحملون جانباً من ذلك كالانفعالات الحادة للعواطف، التي تكون نتيجة توتر الأعصاب من جراء الظروف القاسية التي يمر بها هؤلاء الأولاد، ويبدو في الواقع أن جميع مظاهر سوء التصرف تتلاشى وتنعدم في الجو العائلي الودي الذي يوفره مركز «نورث ثورب».

والعامل الوحيد الذي تبين أنه يجمع بين جميع الأولاد في المركز، هو العلاقات المضطربة وغير المرضية مع آبائهم، ففي الكثير من الحالات تبين أن الوالد ما كان يقيم في المنزل إلا نادراً بسبب العمل أو الخلافات العائلية أو الطلاق، وفي حالات أخرى كان الوالد يُكن الكراهية لابنه لسبب من الأسباب، أو يجد من المستحيل لأسباب سيكولوجية أن يبدي نحو ابنه العطف والحنان الضروريين.

وقد تبين من نجاح الاختبارات في المركز، أن هذا العطف يمكن أن يعوض عن طريق افساح المجال أمام الأولاد للاختلاط بالكبار، وإقامة علاقات من الود والاحترام المتبادل معهم، إذ أنهم إذا تركوا وحدهم انعزلوا تدريجياً، وانطووا على أنفسهم، وصدرت عنهم

---

١ ـ من مقال في مجلة «العالم» اللندنية عدد ١٥٧ في يوليه ١٩٦٥م.

تصرفات تعبر عن العداء أو الحقد على المجتمع. وبينت الاختبارات أن أفضل خطة هي اصلاح الخلاف والشقاق داخل العائلات.

فقد ألح كل من أصحاب الخبرة في مجال العمل الاجتماعي أمثال المستر فيتفل ديقز رئيس اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لمساعدة الأطفال منذ زمن، على ضرورة النظر إلى العائلة كوحدة مجتمعة، ومعالجة قضاياها على هذا الأساس، بدلاً من معالجة مشاكل كل فرد من أفرادها على حدة، وقد تبين في مركز «نورث ثورب» ان مساعدة الأولاد تكون مستحيلة بدون مساعدة عائلاتهم، هذا ويصرف المستر «دنكان» مدير المركز كل دقيقة من أوقات فراغه في زيارة أهالي الأولاد ومحاولة تقديم العون والمشورة إليهم، حول أية صعوبات قد تعترضهم، سواء تعلق ذلك بدفع الايجارات المترتبة عليهم، أو بتعليم الأولاد وتوجيههم، وهو يقوم بكل ذلك بطريقة ودية يقدرها له أهالي الأولاد ومما يسهل عليه عمله إلى حد بعيد كون هذا المركز مؤسسة اصلاحية لا علاقة لها بأية دائرة حكومية، ولا تخضع لأي قرارات أو توجيهات رسمية.

تجربة إعادة التربية في كندا:

تعتبر مؤسسة «بوسكوفيل» في ضواحي مدينة مونتريال، من أهم المراكز الخاصة باعادة التربية في كندا، ونشأت أول الأمر تحت الخيام سنة ١٩٤٢م واستقرت نهائيا على شاطىء بحيرة الفرنسيين سنة ١٩٤٧م بأبنيتها الرائعة، وقاعاتها الفسيحة، وأنديتها المتنوعة،

وبالرغم من سعتها، لم يكن عدد نزلائها بين ١٥ و١٨ سنة، يتجاوز ٨٠ شاباً، يشرف عليهم ١٥ استاذاً ومربياً متخصصاً من خريجي جامعة مونتريال في العلوم الاجتماعية وعلم النفس التربوي ويساعدهم أحد الرهبان.

وكما هو الأمر بالنسبة لأغلب المؤسسات الاصلاحية، فإن برنامج العمل اليومي يتضمن التعليم النظري المطابق للمنهج العمومي، باضافة حصة تجارية في الصباح، وبعد الظهر الأعمال التطبيقية بالرياضة، ثم المعمل وتختم بأحد الفنون الجميلة.

ويتم تقسيم الأحداث إلى فرق حسب فئات أعمارهم، ودرجة انحرافهم، وكل فرقة مؤلفة من ١٥ شاباً تقيم في بناية مستقلة وتتناول طعامها برفقة المربين، وتنتخب ممثلها كما تنتخب جميع الفرق شيخ مدينتها.

ولمؤسسة «بوسكوفيل» تحليل نفسي دقيق لمفهوم «إعادة التربية» الذي أشرنا إليه في أول هذا البحث ومنه تستمد برنامجها التربوي القائم على سياسة المراحل، فإعادة التربية في نظرها تعبير عن الانسجام والائتلاف (adoptation) الناتج عن التوازن الذي يقوم بين النشاطات الخاصة للفرد، والتي نسميها مع جان بياجي (Jean Piaget) تكيفاً (Assimilation)وبين التغيرات الراجعة لاستجابات الفرد لنظام الوسط الخارجي والتي نسميها توافقاً (Accommodation).

ويعبر الانسجام عن الجانب الخارجي لاعادة التربية، أما الجانب الداخلي فسنشير إليه باسم التفاعل الباطني (interiorisation) أي التعبير بنشاط نفسي، وهذه العبارة تشير إلى نماذج المواقف التي تتشكل أثناء إعادة التربية، والتي توجه، ليس فقط السلوك الاجتماعي، ولكن أيضاً أشكال الكينونة عند الفرد، وسنتكلم عن ايناع نماذج هذه السلوك بصيغ التطور، وعن نضجها بصيغ النتائج، وبعبارة أخرى فإن التفاعل الباطني سيكون موضوعاً لنسق ايناع بطيء شيئاً ما، ولكنه يفضي إلى سعة التوازن، إن التفاعل الباطني ـ هذا النظام الباطني للشخص التربية لا يبلغ توازنه النهائي دفعة واحدة، ومع ذلك فايناع هذا النظام الداخلي (interiorité) يمكن أن يفسح المجال لمواقف ارتدادية عابرة، الشيء الذي يسمح لمربين أكفاء باستعمالها بطريقة ديناميكية، وهذا النسق في التطور هو الذي يملي علينا مبدأ المراحل.

مراحل إعادة التربية:

إن عبارة المرحلة تعني الآن مستوى التطور الحاصل خلال إعادة التربية، سواء من جانب الائتلاف الخارجي، أو جانب النظام الداخلي، وقد واجه المربون منذ بداية التجربة، مشكلة ترجمة هذا التطور الباطني بصيغ علم النفس التربوي، وقد أصبح من الأهمية بمكان جعل الإقامة في (بوسكوفيل) ديناميكية للتقليل من هذه السلبية المعاكسة للتربية، والتي تترجمها هذه الجملة التي يقولها كل شاب عهد به قاضي الأحداث إلى مؤسسة «امضي وقتي» إن هذه المحاولة لتجسيم

التطور الباطني تهدف إذن لتزويد الحدث المنحرف بالرغبة في بذل مجهودات للحصول على حياة عادية، وليست فقط للحصول على «خروجه» من المؤسسة وهذه الأخيرة كذلك لا تعتبر كالهدف النهائي، ولكن كوسيلة من الوسائل لحصول الائتلاف.

المرحلة الأولى: اكتساب حقوق المواطن:

إن التوافق خلال هذه المرحلة الأولى يكتسي أعظم أهمية، إن كل شيء يجب أن ينطلق من الوسط الخارجي، ونقطة الانطلاق لسير عملية التربية تأتي من الوسط ومن المربي، لذا فإن برنامج هذه المرحلة يهدف بوسائل خارجية مركزة كلها حول حاجات الفرد، إلى جعل الحدث الجانح الذي يصل حديثاً إلى المؤسسة، يعيش تجربة حياة منظمة هادئة، مندمجة، ان المربي سيكون هو سلطة الفتى الجانح وهو ارادته، لذا فإن دور البرنامج كدور المربي، هو خلق الرغبة عند الفتى لحياة مواطن في مدينة بوسكو، فالمربي سيكوّن الصلة القوية الحارة، لكن دون أن تكون شديدة الخطورة، والمؤهلة لجعل الفتى يحس بقدرته على أن يعيش حياة عادية، إن هذا السير سيجعل الفتى يحصل على بعض النجاح الشخصي الذي سيساعده على محو الصورة التي كونها عن نفسه، وهي أنه لا يصلح لشيء.

فبفضل الارتياحات المرتبطة بقبول مبدأ الحقيقة، تنشأ عند الحدث بداية الثقة في المؤسسة التي تمنحه هذه الارتياحات ويبدأ أيضاً في اكتشاف رغبة حقيقية عنده للمراقبة، أو على الأقل يصبح ذا

حساسية بالانجازات التي يقدمها له البرنامج وتشتد رغبته في أن يصبح مواطناً، فإذا كان صحيحاً أنه لا يشارك في النشاطات، إذا لم يكن مرغماً على ذلك، فإنه يبدأ مع ذلك في اظهار كثير من المبادرات ليطلب هو نفسه من المربي المسئول المواد الضرورية لحسن سير عمل ما، وإذن ففي داخل الاجراءات المفروضة تظهر طريقة «المتكيف» بسبب رغبته في أن يقبض بيده على إدارة العمل الذي يقوم به، وهكذا فإن طريقتي «المتواقف والمتكيف» تثمران، كما رأينا، ائتلافاً، وهذا الإئتلاف يظهر بانتظام في تفضيل الفتى البقاء في مدينة بوسكو، بالرغم عن جميع محاولات الهرب التي توجد في المؤسسات المفتوحة، وتبدو عملية «التفاعل الباطني» في هذه المرحلة في الرفقة الطيبة مع المربين والشعور بالارتياح الحقيقي في الدخول عند المواطنين.

هذه هي المرحلة الأولى التي لا تقل مدتها عن اثني عشر اسبوعاً، وسنكتفي بالنسبة للمراحل الأخرى، بالاشارة إلى بعض مظاهر الائتلاف:

المرحلة الثانية: المراقبة:

لقد أصبح الحدث الآن مواطناً في مدينة بوسكو، مقيماً في أحد أحياء هذه المدينة، ان عملية سير الائتلاف التي ابتدأت في المرحلة الأولى سيستمر إيناعها، وفضلاً عن ذلك فإن الحدث يبحث منذ الآن للحصول على بعض المراقبة التي ستجعله مقبولاً من المواطنين الآخرين الأكثر تطوراً منه، والذين يتكون منهم حيه الجديد، إنه

يقلد مراقبتهم، وفي نفس الوقت يكتشف الشعور بالارتياح لانتسابه إلى جماعة ديناميكية لها مميزاتها الخاصة، هذا المواطن في النهاية، يكتسب القدرة على المراقبة بفضل مشاركته في أنواع النشاطات المختلفة.

وعندما يكون المواطن قد قام بمتطلبات هذه المرحلة خلال اثني عشر اسبوعاً من نوع «أ» (إن مجهودات الائتلاف الخارجية تقدر بترقيمات تعتمد على إصلاح عام) فسيتمكن منذ الآن من الخروج بانتظام كل ثلاثة أسابيع ويكون هذا جزءا من حقوقه كمواطن.

المرحلة الثالثة: الانتاج:

ويمكن أن نسميها باللغة التقنية: مرحلة الكمون[1]، ويلاحظ ان المراقبة التي نظمت في المرحلتين السابقتين، أتت معها بفترة استجمام وهدوء وأصبح الإئتلاف مع القانون ومع أنواع النشاطات المختلفة، بحكم الاعتياد، عملية مطردة بكل معنى الكلمة.

ويمكن القول بأن المراقبة كلما زادت مدتها، ازداد تفاعلها الباطني، بمعنى أن الشخص يصبح أقل احتياجاً لوجود الرجل الدائم بجانبه، فالحدث الذي يبلغ هذه المرحلة يكتسب من الطاقة المتحررة ما يكفيه ليهتدي أكثر وليرضي نفسه في عمل منتج شخصي، فهذا النشاط الابداعي يحظى بالاعتبار في أعين المواطنين، فالتعلم، ولعب دور رئيس في الفرقة، أصبحت الآن أعمالاً مهمة، وهذه المرحلة حاسمة في تحمل المسئوليات، سواء على مستوى الحي أو على مستوى

١ ـ أي الخفاء والاستتار، ومرحلة الكمون عند الطفل تقع قبيل البلوغ، وزمن الكمون فترة فاصلة بين التنبيه والاستجابة.

المدينة، وكل هذا ينمي في الشخص احساسات تقدير بعض الأشياء، والشعور بالوجود الذاتي، وبأنه انسان عادي، لأنه هو أيضاً يحرز على نجاح يمكن أن يقارنه بنجاح الآخرين.

إن علامات التفاعل الباطني لهذه المرحلة تتمثل في حرارة الاتصال الذي يقوم به المربي أكثر مما تبدو في الانتاج الشخصي للأعمال، وتستمر مرحلة الانتاج هذه عشرين اسبوعاً من نوع «أ» يستطيع المواطن أن يربح خلالها أجراً أعلى مما كان، وأن يكون له حق الخروج مرات عديدة.

المرحلة الرابعة: الارتباط الشخصي:

في خلال المراحل السابقة، تم اتصال الحدث بالمؤسسة وبأعضاء فرقة المربين الذين أصبحوا في نظره من خيرة الناس، وفي خلال هذه المرحلة تستقر نهائياً علاقة إعادة التربية، وكنتيجة لذلك يقوم التحام بين تخطيطات القيم التي تشهد مدينة بوسكو والمربي تبلورها، هذا الالتحام لا يقوم من تلقاء نفسه، فتأثير المربي، الذي يريده الحدث صديقاً، هو عدو بنيته الانحرافية.

وفي هذه المرحلة تبدو بجلاء جميع الظواهر التي أجاد وصفها ريدل (Redl) ضد التغيرات العميقة للشخصية، فالأمر يتعلق في الواقع باعطاء هذا المواطن مشاركته الفعلية في ديناميكية مدينة بوسكو نفسها، متخلياً عن بريق «موضة» الانحراف، وكذلك فإن قدرته على إدراك ما يدور في الوسط العائلي ترغمه على اتخاذ المواقف الموضوعة التي من شأنها أن تزعزعه.

وباختصار، يمكننا أن نقول عن هـذه الحقبة بـأنها فترة الارتبـاط الشخصي كما هي فترة اختيار الحياة في منطقة اجتماعية غير منحرفـة، وسيظهر «التفاعل الباطني» بالقبول الودي لطريقة الحياة القائمة حول متطلبات الواقع، وللسمات والملامح غير الانحرافية، كـما أن مواقف التفهم التي يبـديهـا نحـو الآخـرين تشـير إلى عمق هـذا «التفـاعـل الباطني».

أما مدة هذه المرحلة فهي غير محددة إطلاقاً، لأنها تـرتبط بالنسق الفردي لكل واحد، ولكنها لا تقل عن ستة عشر أسبوعا[1]

تطور أساليب إعادة التربية في العالم العربي

تجربة: إعادة التربية في مصر:

تعتـبر مصر من الـدول التي أولت الأحـداث المنحـرفـين عنـايـة خـاصة منـذ أوائل القـرن العشرين، متقـدمة في ذلـك على كثـير من الـدول الغربيـة، كما سـايرت في السنـوات العشر الأخيرة الأهـداف العامة لرعاية الأحداث الجـانحين، والعمـل على إعـادة تربيتهم طبق الأسس العلميـة الحـديثـة، حيث انشـأت أول محكمـة لـلأحـداث بالقاهرة، وأخرى بالاسكندرية سنة ١٩٠٦م.

---

١ ـ إدريس الكتاني، ظاهـرة انحراف الأحـداث، ص: ٣٥٣، منظمـة التعاون الوطني الرباط، في ١٩٧٦م.

دور الملاحظة:

عندما تأمر النيابة بحجز الحدث المنحرف، ينقل إلى دار الملاحظة، التي تأوي الأحداث من فئات الأعمار (١٢ ـ ١٨ سنة) لمدة شهر، بقصد ملاحظة سلوكه ودراسة ظروف بيئته وقد يستمر إيداعه لمدة أقصاها ستة أشهر، وتعتني هذه الدور باستثمار أوقات فراغه بشتى أنواع النشاط الرياضي والاجتماعي والفني والحرفي، حيث سيكتشف المربي نوع شخصية الحدث وسلوكه، وطريقة تفاعله مع زملائه ومدى تعاونه واستجابته لنظام الدار، وغير ذلك مما يتضمنه تقرير السلوك والشخصية الذي ترفعه الدار لمكتب الخدمة الاجتماعية، قبل تقديمه نهائياً للمحكمة.

ويقضي نظام دار الملاحظة بانضمام الحدث إلى إحدى المجموعات (الأسر) ليعمل في نطاقها متعاوناً مع زملاء من نفس سنه وبيئته، ومشتركاً في جميع أنواع نشاطها، كما يقضي بخدمة الأحداث لأنفسهم ليتعودوا الاعتماد على أنفسهم.

وفي الحالات الصعبة تكلف النيابة مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث باجراء بحث اجتماعي عن تاريخ الحدث التربوي والعائلي والصحي والمهني والانحرافي ينير السبيل أمام المحكمة ويوجه القاضي لأفضل الوسائل الممكنة في علاجه.

نظام المراقبة الاجتماعية:

هناك نظام آخر لاعادة التربية بالنسبة لحالات الانحراف الأولية غير الصعبة، وفي نوع معين من المذنبين ترجى توبتهم ولا يهدد

إطلاق سراحهم سلامة المجتمع وأمنه، إنه نظام (المراقبة الاجتماعية) حسب الاصطلاح الامريكي ـ الانجليزي، أو (الحرية المحروسة) حسب الاصطلاح الفرنسي، ويطبق في مصر والمغرب وبعض الدول العربية الأخرى.

ويقضي هذا النظام ـ بعد صدور حكم من قاضي الأحداث بابقاء الحدث المنحرف في بيئته الطبيعية، أو لعائل مؤتمن، أو لاحدى دور الضيافة تحت اشراف وتوجيه مراقب اجتماعي مندوب عن المحكمة لمدة سنة اختصارها إذا رأى المراقب ان الحدث لم يعد بحاجة إلى مزيد من المراقبة.

وتنحصر مهمة المراقب في اجراء بحث اجتماعي شامل عن الحدث يشمل فحصاً طبياً نفسياً واختباراً في الذكاء لاقتراح خطة العلاج الملائمة لكل حالة، والتي يقوم هو بتطبيقها بالتعاون مع الطبيب العام والطبيب النفسي، والاختصاصي النفسي مختبر الذكاء حيث يجتمعون عادة في مجالس منظمة لدراسة الحالات.

دور تربية النشء:

بعد فشل نظام الاصلاحيات القديمة في منع العودة إلى الانحراف، حيث تبين أن ٥٠٪ من نزلاء السجون مروا أمام محاكم الأحداث في طفولتهم، تم انشاء مؤسسات مجهزة بالمختصين الاجتماعيين والأطباء والمتخصصين النفسيين والأطباء النفسيين، وخبراء التشغيل والتدريب المهني، وأطلق عليها اسم «دور تربية

النشء» وتستهدف إعادة تربية الحدث إلى جانب اتمامه لمرحلة التعليم الاجباري.

وتقوم برامج وخدمات هذه المؤسسة على العناصر التالية:

١ ـ تزويد الحدث بالوسائل التي تساعده على اكتساب مهارات متعددة وعلى التفوق في بعضها.

٢ ـ تهيىء الفرص لتشكيلات جماعية بين الأحداث مع أخذ الحذر من انحرافها بحيث تصبح أجهزة عدوانية.

٣ ـ إعطاء أهمية خاصة للعلاقات المهنية بين المتخصص الاجتماعي والحدث، هذا الحدث يحتاج إلى علاقات نموذجية قائمة على العطف والتقدير.

٤ ـ الاهتمام ببعض النواحي الفنية باعتبارها تعبيراً حقيقياً عن رغباته كما أن الهوايات الفنية كالرسم والمسرح والتمثيل والقصة والشعر الخ، لها أثر كبير في اكتشاف الميول والرغبات المكبوتة لدى الحدث الجانح.

٥ ـ إعادة تكييف الشاب كمواطن حر في المجتمع، ان علاقته مع الغير تكون الجانب الأكبر من شخصيته، ومن الضروري تقديم العون لأسرته لفهم صعوباته ومشكلاته ودوافع سلوكه وتهيئة الأسرة لتقبل عودته والمساعدة في توفير فرص العمل والاقامة له.[1]

---

١ ـ عبدالخالق علام، وعدلي سليمان، ونعمان صبري. رعاية الشباب مهنة وفن. مكتبة القاهرة الحديثة. ١٩٧٢م.

تجربة إعادة التربية في سوريا:

لعل أول مؤسستين إصلاحيتين حسب وسائل التربية الحديثة بسوريا، هما «معهد الغزالي» بضواحي دمشق الذي تأسس سنة ١٩٥٤م، و «معهد سيف الدولة» بضواحي حلب الذي تأسس سنة ١٩٦١م، ويستقبلان الأحداث الذين صدرت بحقهم أحكام من محاكم الأحداث بالمحافظات السورية ممن تتفاوت أعمارهم بين ١٠ - ١٩ عاماً.

بمجرد تسليم الحدث إلى المعهد، يرسل مباشرة إلى الحلاق لقص شعره، ثم إلى الحمام لاغتساله، وفي اليوم الثاني لوصوله يقدم لطبيب المعهد لفحصه وتنظيم الاضبارة الصحية له، مع بيان قابليته الجسمية للقيام بالأعمال المهنية، وترسل إلى الخبيرة الاجتماعية التي تقوم بدورها بدراسة حالته الاجتماعية وتنظيم الاستمارة الاجتماعية له، ثم يرسل إلى المشرف على التكوين المهني الذي يدرس مدى استعداده للعمل. كما يرسل إلى المعلم مستواه الثقافي وهكذا يتحدد وضعه في الصف الذي يناسبه والحرفة التي ينسجم معها.

ويتوفر المعهد على جميع صفوف التعليم النظري، أما في التعليم المهني فيتفاوت عدد الطلاب باختلاف المهنة، هناك حرف الحدادة الزخرفية والنسيج والخياطة والكهرباء والنجارة والزراعة والضرب على الآلة الراقنة وتطريف الأحذية.

كما أن النشاط الثقافي والاجتماعي والترفيهي، متوفر بشكل جيد، ويحتوي على تنظيم الرحلات والنزهات والمحاضرات وحفلات

السمر والمباريات الرياضية، وتلعب الخبيرات الاجتماعيات في المعهد، دوراً مهماً حيث يقمن بتعهد ورشات الأحداث وتنظيم برامج النشاط الترفيهي أيام العطل ويحرصن على إقامة علاقات ودية مع الأحداث وتحسين علاقتهم أيضاً بالإدارة وبالمجتمع وخارج المعهد باتاحة الفرص للمشاركة في الحياة الاجتماعية، كما تهتم الخبيرة بأسر الأحداث التي هي في حاجة إلى مساعدة من أي نوع وفي المعهد قسم يختص بمراقبة الأحداث وقسم آخر يهتم بحالتهم الصحية ويجري عليهم فحوصاً طبية بصورة دورية.

وتسود داخل المعهد روح التعاون المستمر بين الأحداث، حيث تبدأ مظاهر التبدل الملموس في سلوك الحدث منذ قدومه إلى المعهد ويكتسب أخلاقاً جديدة وقيماً جديدة وتتشكل لديه اهتمامات جديدة، ويتعود على النظام وينفذ كل المطالب من أعمال واشغال ويعتبر المعهد بمثابة بيته العائلي، فيتعهد حديقته المزروعة بشتى أنواع الورود دون أن يعبث بها ولذلك فإنه لا يفكر في الفرار من هذا البيت ولم يحاول ذلك قط.

ويصدر المعهد مجلة شهرية اجتماعية وثقافية خاصة بالأحداث كما يتوفر على مكتبة، وقاعة مطالعة، وتلفزيون، ومسبح وملعب كبير.[1]

تجربة إعادة التربية في المغرب:

يرجع تاريخ انشاء المؤسسات الاصلاحية في المغرب إلى سنة ١٩٥٤م، أي نفس السنة التي تأسس فيها معهد الغزالي بسوريا،

١ ـ مجلة، الجندي، عدد ٦٨٧ في ١٨/١١/١٩٦٤م. دمشق.

ولكنها أشبه بالمؤسسات المصرية من حيث تنوعها وتدرجها، ولم تصدر التشريعات الخاصة بقضاء الأحداث ـ وتشتمل على ٥٤ فصلاً ـ إلا سنة ١٩٥٩م، أي بعد استقلال المغرب بثلاث سنوات، حيث قضي على الامتيازات التي كان يتمتع بها الأحداث الأجانب في عهد الحماية.

مراكز الملاحظة:

بعد القبض على الحدث الجانح، يحال إلى قاضي الأحداث الذي يأمر بوضعه حسب خطورة ذنبه ـ إما في مركز الملاحظة، أو لدى مندوب «الحرية المحروسة» أي المراقبة الاجتماعية حسب الاصطلاح المصري، وتقع مراكز الملاحظة عادة في ضواحي المدن الكبرى، وتستقبل الأحداث من سن ٧ إلى ١٦ سنة، المودعين من محاكم الاقليم بقصد ملاحظتهم، ويشتمل المركز حسب أهمية الاقليم على ٢٥ إلى ٧٥ سريراً، وبين هذه المراكز واحد خاص بالاناث يستقبل الفتيات من ٨ ـ ١٨ سنة، به ٧٥ سريراً. وهذه المراكز مجهزة تجهيزاً عصرياً. وتحتوي على أندية ترفيهية وثقافية وأقسام دراسية ومعامل مهنية وأغلبها يوجد وسط حدائق كبيرة.

وتهدف مراكز الملاحظة لتحقيق هدفين:

١ ـ تشخيص العوامل التي دفعت بالأحداث الذين وضعوا تحت مراقبتها إلى الانحراف ووصفها بدقة.
٢ ـ تحديد العلاج الذي يجب اتخاذه في كل حالة. وتقديم تقارير بنتائج هذه الملاحظة إلى قضاة الأحداث الذين يقدرون على

ضوئها الحلول الناجحة لاصلاح الطفل وادماجه في المجتمع من جديد.

ولتحقيق هذه الأهداث تقوم مراكز الملاحظة بتحليل شخصية الحدث تحليلاً شاملاً وبتسجيل النتائج المحصل عليها في شكل تقرير عام. ذلك أن الأمراض التي تسبب عدم الانسجام الاجتماعي كثيراً ما تنشأ عن الاضطرابات النفسية والعقلية ولا يمكن تفسيرها إلا بدراسة مجموع الشخصية، وهناك عدة طرق عملية تستعمل للقيام بهذه الدراسة أهمها:

أ - البحث الاجتماعي الذي يكشف كل الجوانب المهمة التي تتعلق بتاريخ الحدث الاجتماعي والوسط الذي عاش فيه.

ب - اجراء الفحوص الطبية والنفسية والعقلية على الحدث.

جـ - ملاحظة سلوكه أثناء اقامته بالمركز في الفصل الدراسي وفي المعمل وأثناء اللعب أو داخل حصص التربية البدنية.

وبعد مرور شهر، وأحياناً شهرين أو ثلاثة في الحالات الصعبة من اقامة الحدث في داخلية المركز، يجمع الاختصاصيون والمربون كل ما سجلوه من معلومات وملاحظات وبعد تحليلها ودراستها في ندوات خاصة، تدون في تقرير عام يرفع لقاضي الأحداث الذي يجب أن يهتم في حكمه بشخصية الحدث وظروفه الاجتماعية، أكثر مما يهتم بعمله الانحرافي الذي هو نتيجة طبيعية للظروف السيئة والبيئة الفاسدة التي عاش فيها.

ويمكن تحديد أهداف العملية المباشرة للملاحظة فيما يلي:

- تزويد قاضي الأحداث بالمعلومات الوافية الصحيحة عن الطفل بصفته المسئول عن اختيار الإجراء الصالح لعلاجه.
- تزويد المربي بهذه المعلومات أيضاً بصفته المسئول عن إعادة تربيته ومن شأن هذه المعلومات أن ترشده للطريقة التي ينبغي أن ينهجها في إعادة التربية.
- دراسة أسباب انحراف الأحداث وتوعية المجتمع (المشرع والمعلم والمصلح والحاكم ورب الأسرة) بها من أجل أن يعمل الجميع على تطبيق سياسة للوقاية من الانحراف.

مراكز إعادة التربية:

بعد نهاية المدة التي يقضيها الحدث بمركز الملاحظة ودراسة القاضي للتقرير المقدم بشأنه، قد يحكم بايداعه في أحد مراكز اعادة التربية، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: دراسية، وصناعية، وزراعية. ويتوفر كل منها على ٤٠ إلى ١٥٠ سريراً. وتهدف إلى تكوين الطفل مهنياً أو صناعياً وإعداده لاتقان عمل شريف يعيش منه مع تزويده بالحد الأدنى من المعلومات المدرسية، كما أنها تحاول أن تضع ثلاثة مبادىء جوهرية موضع التطبيق:

أ - تنمية شخصية الطفل (عمل مربي الفرقة)

ب - تنمية الاحساس الاجتماعي لديه (خلال ممارسته للنشاط الرياضي) وبواسطة اسلوب الانتخابات (مجلس البيت) أو الاسلوب الاجتماعي - التربوي.

جـ - تعويده على تقدير وتقويم العمل الصناعي (واجب المعلم المهني ان يعطي أحسن المبادىء وتعتبر مهارته مظهراً جوهرياً لاعادة التربية).

وإلى جانب ذلك تهتم هذه المراكز بمتابعة خطوات الطفل بعد خروجه منها وتزويده بالارشادات والنصائح ومساعدته في الحصول على عمل في بعض الأحيان.

وتستقبل المراكز الدراسية الأحداث الذين هم بين ٨ و١٤ سنة، حيث يتابعون الدراسة العادية للمدارس الابتدائية وينتقلون بعدها للمؤسسات المهنية أو المدارس الثانوية خارج المركز ويلعب المركز حينئذ دور (داخلية) ولكنها داخلية من نوع خاص، حيث يحل محل المراقب مرب مختص يقوم خارج ساعات الدراسة بمهمة التكوين المهني والأخلاقي للطفل، ويحاول تنمية امكانات استقلاله الذاتي وحريته في إطار جماعته وفرقته.

أما المراكز الصناعية، فتحتوي على معامل موزعة لصناعة جميع أنواع الخشب وصناعة الأرائك والأسرة والمقاعد وصناعة الحديد والكهرباء وقنوات الماء بالاضافة إلى الصناعات التقليدية.

وهناك مركز زراعي خاص بالمنحرفين من البادية تبلغ مساحة الأرض التي يشغلها ٥٤ هكتاراً ويقوم بتدريب نزلائه على أشغال الخشب والحديد الخفيفة (من تركيب وطرق وتلحيم) الخاصة بأعمال الزراعة وتيسير الجرارات، كما يقوم بزراعة الخضر.

أما مركز إعادة التربية للبنات فيتضمن التعليم النظري بجانب التكوين المهني في مواد الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي ومدة الإقامة في جميع هذه المراكز ثلاث سنوات.

وتعتبر الداخليات (أحياء إقامة الأحداث بالمراكز) وسطاً قادراً وحامياً، وهي تضم وسائل العيش والرعاية، إنها مجتمع صناعي ركّب على قياس الطفل بدل مجتمعه العائلي ليخلق فيه صداقات وينشىء عادات، وبتعوده مع مرور الأيام لذلك غالباً ما يصبح الخروج منه مبعث قلق للفتى الذي يخشى من مجابهة العالم الخارجي، ولا يهتدي بسهولة لاجتياز القنطرة التي تقوم بين مؤسسته وهذا العالم، إن هذه القنطرة في مسلسل (إعادة التربية) هي نادي العمل الاجتماعي.

أندية العمل الاجتماعي:

إذا ظهر أن سلوك الحدث عند مغادرته لمراكز الاصلاح لم يتحسن تماماً، وجب عليه اجتياز مرحلة تجريبية تعتبر بمثابة «نصف حرية»، أي بين حياة الداخلية والخارجية، وهذا ما تقوم به أندية العمل الاجتماعي التي هي (داخليات) مفتوحة بالمدينة قرب أماكن العمل تساعد الأحداث على تتميم تكوينهم المهني وتنمية مداركهم الفنية، وتسعى لتشغيلهم وتوظيفهم في عمل ملائم يساعدهم على الاندماج في المجتمع.

ويقيم الحدث بالنادي مدة سنتين على الأكثر في ظروف شبيهة بالحياة المنزلية، حيث يسمح له بمتابعة دروسه أو تكوينه المهني خارج

النادي، وبالمشاركة في نشاط الجمعيات الرياضية والفنية المحلية، وباستقبال أصدقائه وأقاربه في النادي، سواء على مائدة شاي أو عشاء. الشيء الذي يشعر الحدث بأنه يعيش في جو عائلي طبيعي خال من القيود والشروط.

وللنادي مجلس منتخب يقوم بابداء الرأي واتخاذ القرارات باسم الجماعة، وهو في نفس الوقت الروح والمحرك الرئيسي لجماعة المراهقين وأحد العناصر الحاسمة في الرسو العاطفي بهذه الجماعة.

وهذه المؤسسات العلاجية الثلاث: الملاحظة، واعادة التربية (وتوجدان في ١٥ مجتمعاً، فضلاً عن ٥ مراكز لأندية العمل الاجتماعي)، يطلق عليها في المغرب «مراكز رعاية الطفولة» ولها ادارة مستقلة تابعة لوزارة الشبيبة والرياضة.[1]

خلاصة البحث:

إذا كان الإنسان قد استطاع ـ بعد قرون طويلة من التجربة ـ أن يعالج الجسم البشري علمياً، لأنه مادة ملموسة يمكن تشريحها، فقد استعصى عليه إدراك حقيقة النفس الانسانية ـ هذا الكائن الخفي الغامض ـ ولم يتمكن من السيطرة عليها، ومعالجة أمراضها.

ومع ذلك فإن العروض والنصوص المختصرة والمترجمة أحياناً التي أوردناها عن تجارب مختلف الدول الغربية والعربية لاعادة تربية

---

١ ـ إدريس الكتاني: ظاهرة انحراف الأحداث، ص: ٢١١ ومعلومات مستمدة من وزارة الشبيبة والرياضة مباشرة.

الأحداث المنحرفين، هي نماذج غنية ومتنوعة بابتكارات واجتهادات علمية تهدف للوصول إلى معرفة عمق النفس الانسانية كيف تنفعل؟ وكيف تفعل؟ ثم كيف تتفاعل؟ وأخيراً كيف نستطيع التحكم في توجيهها سلباً وايجاباً؟

وسوف يلاحظ أن هذه العروض لا تتشابه من حيث تناولها لجوانب الموضوع الواحد، فليست هي أجوبة محددة عن أسئلة معينة من أجل مقارنة تحليلية دقيقة، هذا شيء يصعب القيام به حاليا إذ الهدف منها هو فقط عرض نماذج مختلفة، ولكنها متكاملة من الغرب والشرق لتصورات الفكر العلمي الاصلاحي المعاصر عن طرق وأساليب اصلاح الأحداث واعادة تربيتهم.

وإذا شئنا استخراج بعض المبادىء والقواعد العامة لاعادة التربية من هذه التجارب كخلاصة جامعة لهذا البحث، وكمحاولة أولية لوضع قواعد قادرة ومتفق عليها من طرف الباحثين والمربين، فإننا نقدم هذه القائمة كمجموعة من الأفكار المستخلصة من تجارب علمية:

١ ـ مدير المؤسسة الاصلاحية يلعب الدور الأكبر في تخطيط وتوجيه المؤسسة ويمثل روح الابتكار واتخاذ المبادرات لتطوير وتحسين فعالية المؤسسة في إعادة التربية، (ليس هو مجرد مدير اداري قابع في مكتبه يقوم بعمل روتيني).

٢ ـ الامكانات والمساعدات المادية من الشخصيات والهيئات الاجتماعية تساند إلى حد كبير عملية تقدم ونجاح المؤسسة

وتشجيع المدير على المضي قدماً في خدمتها.

٣ ـ لا يعمل في المؤسسة الاصلاحية إلا الأطر المختصة والمخلصة في مهنتها والتي تعمل بايمان واقتناع بالخدمة الانسانية التي تقوم بها.

٤ ـ عدم اعتبار الحدث المنحرف مجرماً، ونسيان ماضيه الانحرافي أحد أسس اعادة التربية، وهو بمثابة نصف العلاج.

٥ ـ تعويد الحدث على النظام والقيام بكل الأعمال والأشغال المطلوبة منه أياً كان نوعها.

٦ ـ ضرورة خلق علاقات طيبة ومستمرة وتعاونية بين الحدث وأطر المؤسسة وبينه وبين المجتمع واتاحة الفرصة لمشاركته في الحياة الاجتماعية داخل وخارج المؤسسة.

٧ ـ القدوة الحسنة والمثال الطيب من أهم العوامل المؤثرة على الطفل.

٨ ـ انشغال الحدث بالعمل هو في حد ذاته اسلوب مهم لاعادة التربية وقاعدة مشتركة بين جميع المؤسسات الاصلاحية والتربية بالعمل من أفضل طرق العلاج.

٩ ـ النظر إلى العائلة كوحدة مجتمعة ومعالجة قضاياها على هذا الأساس بدل معالجة كل فرد على حدة واعتبار أن مساعدة الحدث لا تتم إلا بمساعدة أسرته.

١٠ ـ عدم معاندة ذوي المزاج الحاد والأمراض العقلية.

ونشير في النهاية إلى أن التوجيه المذهبي سواء في الدول الاشتراكية أو الديمقراطية الغربية، أساسي في هذه التربية ولست

أدري هل مؤسساتنا الاصلاحية تعنى بالتربية الاسلامية ليس فقط لأن الاسلام هو عقيدة الأمة العربية، بل لأنه أداة فعالة وعنصر لا يمكن الاستغناء عنه في إعادة تربية الحدث العربي المسلم.